المختصرات والرموز في التراث العربي

د.إبراهيم السامرائي

عضو المجمع

يخيّل لكثير من القرّاء العرب أن الرموز والاختصارات شيء عرفناه في عصرنا هذا، وهو مما ترفده إلينا الحضارة الغربية المعاصرة. وربما كانوا على حق في هذا، ذلك أن جمهرة ما يرد إلينا من هذا يدخل في باب الجديد.

لقد عرف القارئ العربي الرموز في علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء وسائر علوم الطبيعة وما يتصل بها من قريب أو بعيد، ثم تجاوز الأمر هذه الأبواب من المعرفة إلى ما ندعوه في عصرنا بالعلوم الإنسانية. إن العلوم الاجتماعية من إدارة واقتصاد واجتماع وسياسية وتربية وعلم النفس وما يتصل بهذه الأبواب من قريب أو بعيد قد حفلت بالرموز والاختصارات، وربما تجاوز الأمر هذا فإن مواد علوم اللغة المعاصرة ومواد الفلسفة وغيرها قد عرفت هذا الجديد الوافد. وهو من غير شك ضرورة قائمة قامت عليها الحضارة المعاصرة التي ترمي إلى السرعة واليسر والوصول إلى المراد بسهولة. لقد ألفنا المختصرات والرموز حتى تحول جمهرة المثقفين إلى اعتبارها مواد قائمة بذاتها وكأنهم حين يستعملونها لا يخطر في بالهم أصولها الطويلة، فمختصر "اليونسكو" أو "الاونسكو" قد شاع على كل لسان، وهو يغني عن تركيب طويل يستهلك جهداً في استظهاره وحفظه واستعماله. ومن الخير أن يُعدَل عن التراكيب الطويلة إلى هذا المختصرات، فكان لنا منها على سبيل المثال: "الألكسو" و"اليونسيف" و"الفاو" وعشرات غيرها.

إن هذه المختصرات بنيت من أصول إنكليزية، فأنت تقول "اليونسكو" بدلاً من المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم. وأنت تلمح في المختصر "يونسكو" الأحرف

الأوائل لأجزاء هذا المركب، وقل هذا في سائر المختصرات الدولية وغيرها. ومن هنا فرضت اللغة الإنكليزية نظامها اللغوي في بناء المختصر، وهذا يعني أن الأحرف الأوائل أخذت من أجزاء التركيب اللغوي في الإنكليزية فتبعه الفرنسيون على مضض لشيوعه وشهرته، ولو أتيح للفرنسيين أن يصنعوا مختصراً لهم دالاً على ما تدل عليه "يونسكو" لكان شيئاً آخر. لكن الفرنسيين لم يحاولوا هذا، وهم كارهون أن يفرض عليهم مصطلح أصول نظامه من الإنكليزية، ألا ترى أنهم لم يقولوا "ناتو" لمنظمة حلف شمال الأطلسي، بل قالوا "أوتان" الموافق أجزاء هذا المصطلح في الفرنسية.

هذه مقدمة يسيرة بين يدي هذا الموجز لم يألفه قراء مجلة مجمع اللغة العربية، وذلك لأن الكلام على الرموز والمختصرات يتصل بالعلوم الجديدة كالعلوم التطبيقية والاجتماعية. غير أني أود أن أقول: إن مادة المصطلح في عصرنا تؤلف علماً جديداً هو "علم المصطلح" وهو شيء يدرس في الجامعات وتؤخذ فيه الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه، وكما أن هنا ما يدعى "بنك المعلومات" هناك أيضاً، "بنك المصطلحات" والمصطلح في عصرنا شئ يزداد في كل سنة بحسب تطور البلدان وتقدمها، ففي الولايات المتحدة الأمريكية، يجدّ في كل سنة ما يقرب من عشرين ألف مصطلح، وشيء يقرب من هذا في البلدان الغربية واليابان. ولا بد أن يكون شيء من هذا لدى سائر البلدان الأخرى التي تفرض الحاجة عليها أن تفيد من هذا الجديد. إن الكثير من هذه المصطلحات يصار فيه إلى الاختصار للأسباب التي عرضنا لها.

ونعود إلى العربية التي استقبلت هذه المختصرات الأعجمية استقبالاً حسناً، فلم تبتئس بها، بل أخذتها وعرّبتها حتى صارت كأنها كلم عربي، ولنا أن نقول: إن تصديرها بالألف واللام، وهي أداة التعريف في العربية، دليل على أنها تحولت إلى العربية فصرنا نقول "اليونسكو" و"الالسكو" و"الفاو" وغيرها.

إن فـي هـذا الوافـد اللغـوي الجديـد إثـراء للعربيـة، وإن كـان مفروضـاً عليهـا بسـبب الضـرورة والحاجـة أقـول: إن الضـرورة والحاجـة تفـرض علينـا فـي كـل عصـر أن نصـنع جديداً مولّداً، وهذا الجديد المولّد يدخل نطاق اللغة شئنا أم أبينا.

وإنـي لذاكر من هذا المولد الكثير مما اخترعه أهل الحاجة حين جدّت علوم في التـاريخ الإسـلامي. ومـن ذلـك مثلاً أننـا نجـد المحدِّثين (رجـال الحـديث الشـريف) يـروون الحديث بالتواتر، فيبدأ المحدث يقول: أخبرنا محمد بن زيد مثلاً، أخبرنا علي بن الحسن، أخبرنا زيد بن النعمان ... ويستمر في إيصال الخبر حتى يصل بـه مثلاً إلى علي بن أبي طالب فيقول: أخبرنا علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال...

إنك تجد قول المحدث: "أخبرنا" يتكرر كثيراً، وللتخلص من التكرار الممل جعلوا "أنا" بدلاً من "أخبرنا" أو أنبأنا، فيكون تواتر الخبر على النحو الآتي:

أخبرنا محمد بن زيد، أنا علي بن الحسن، أنا زيد بن النعمان ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...

أقول: إن لجوء المحدّثين إلى هذه الصيغة، وهي "أنا" بدلاً من "أخبرنا" أو "أنبأنا" شيء حسن دلّ على أن الباحثين القدامى في الحديث الشريف كانوا أهل علم جيد يُراد أن يوصل إليه بطريق حسن فكان هذا "المختصر".

وقد أدرك هذه الصنعة الحسنة المؤرخون الأوائل الذين رووا الأخبار متواترة على طريقة رجال الحديث فتابعوهم في هذا الاختصار. وليس غريباً ما صنعه هؤلاء، إن كثيراً مـن المـؤرخين هـم محـدّثون أيضـاً، ومـن هـؤلاء المـؤرخ الطبـري واليعقـوبي والمسـعودي وغيرهم.

ولنقف وقفة أخرى على هذه التجربة التي وصل إليها المحدثون والمؤرخون فنجد أن

الحديث مثلاً لا بد أن ينتهي إلى الرسول، ولا بد هنا من الصلاة والتسليم فكانوا يثبتون عبارة الدعاء بالصلاة والتسليم وهي صلى الله عليه وسلم. ولتكرار هذه العبارة في كتب الحديث والتاريخ التي هي فرض عين، صاروا يقصرّون في رسمها بأحرف تخالف الحروف السائرة في الكتاب مثلاً فترسم على هذا النحو ﷺ ثم تجرأ آخرون في حقبة متأخرة فاختصروها رسماً فقالوا (صلعم) وهي اختصار لـﷺ.

أقول: إن هذا الاختصار، وإن كان خاصّاً بالطبع والرسم، ولا يقال في النطق، دليل على أن الباحثين كانوا يستشعرون الحاجة إلى المختصرات ثم إنهم جروا في هذا السبيل من الاختصار حتى حولوه رمزاً قائماً على حرف واحد فأثبتوا بعد ورود "النبي" أو اسمه في النص الحرف (ص) يرمز إلى جملة الدعاء المتقدمة، وأهل الحفاظ على الأصول لا يرضون هذا الاختصار في مقام الرسول الكريم.

وقد رأيت في مخطوط قديم لفظ "تع" ترمز إلى "تعالى" وهي لفظة التعظيم للفظة الجلالة (الله).

ومثل هذا قولهم: (ر ح) بعد الأعلام كأن يقال: قال محمد بن زيد "ر ح" والراء والحاء اختصار لقولهم "رحمه الله" وهذه مما يلجأ إليه عند التكرار. ومثله أيضاً "رضه" بعد الأعلام أيضاً، وهي اختصار لقولهم: رضي الله عنه، وكذلك قولهم "عم" اختصار لقولهم: "عليه السلام".

ولنعد إلى المختصرات الحديثة لنقول: إنها صنعت على طريقة "النحت" الذي نعرفه في العربية، وهو أخذ الحرف الأول من كلمات عدة لتركّب وتُنحت فتكون "أونسكو" مثلاً.

أقول: وهذا النحت عرفته العربية منذ أقدم العصور فقالوا:

"الحوقلة": وهي اختصار على طريقة النحت لقولهم: "لا حول ولا قوة إلا بالله".

و"البسملة" وهي نحت واختصار لقولنا "بسم الله الرحمن الرحيم".

و"الحمدلة": وهي اختصار لقولنا: "الحمد لله".

و"الحيعلة" وهي اختصار لقولنا: "حيّ على الصلاة ".

و"السبحلة" وهي اختصار لقولنا: "سبحان الله".

وليست "الأبجدية" إلا من "أبجد" وهو مجموع أحرف الهمزة والباء والجيم والدال. وهذا النظام في ترتيب الحروف العربية غير النظام الهجائي. وقد أخذ منه المركب الأول "أبجد" فصار كلمة واحدة، ألا نرى أن الذي سمّى كتابه "أبجد العلوم"[١] جعله اسماً واحداً. ومن هنا جاءت "الأبجدية" للدلالة على نظام خاص في ترتيب الأصوات.

وقد أمدّ النحت، وهو ضرب خاص من التركيب، العربية بكلمات ذوات قيمة اصطلاحية ومن ذلك مثلاً: "الهُوِيّة" وقد أخذت من الضمير "هو" في العربية، وحُمِّلت المعنى المعروف لها.

و"الماهية" وقد أخذت من جملة هي قولنا "ما هو" أو "ما هي"، ليس على سبيل الاستفهام بل على سبيل الخبر، "فالماهية" تعني: الذي هو، والذي هي، وفي باب الفلسفة نجد "الإِنِّيَّة" وهو مصطلح من "إنه" أي حقيقة الشيء وجوهره، وكذلك "الأيسية" وهي الوجود.

و"الليسية" وهي العدم.

وحقيقة هذين المصطلحين قائمة على كلمة "أيس" بمعنى الوجود.

---

(١) أبجد العلوم "كتاب في تصنيف العلوم لصديق حسن خان (المطبعة الصديقية في بهوبال- الهند) سنة ١٨٥٨. وقد أعيد طبعه في إستانبول ١٩٤١- ١٩٤٣.

فإذا قلنا: "الليسية"(١) فكأنها عدم الوجود. ومن هنا لا بد لنا أن نعرض لما كان من علم النحاة الأوائل.

قال الخليل في "ليس" إنها مركبة من "لا" و"أيس" فطرحت الهمزة وألزمت اللام بالياء(٢) وهو قول الفراء أيضاً، واستدلوا بقول العرب: ائتني به من حيث أيس وليس، أي من حيث هو ولا هو(٣).

ثم إننا نجد أن "إيسان" لغة في "إنسان"(٤) .

أقول: وقد أفادت العربية المعاصرة في أداة النفي "لا" فنحت منها وما يليها كلمات هي في حقيقة الأمر اختصار كقولهم: اللاشعور واللاوعي، وذهب أهل الفلسفة إلى اللازمان واللامكان. وتصدير هذا الكلم بأداة التعريف يشير إلى هذه الفذلكة اللغوية.

ومن هذا أيضاً كلمة "الفذلكة" التي دخلت في لغة أهل المنطق وأهل الرأي وجمعت جمع تأنيث فقالوا "فذلكات" وهي من كلمة "فذلك" للإشارة التي تشير إلى نهاية أمر أو مسألة فيقال: فذلك الوجه مثلاً، ولما تكررت كثيراً في كتاباتهم صنعوا منها "فذلكة" للإشارة إلى رأي خاص أو فهم خاص.

إن تكرار الكلم يدفع الدراسين في كل عصر إلى الإفادة منها في توليد مصطلح فقد قالوا:

"العنعنة" وهي مأخوذة من لغة المحدثين في إثباتهم للحديث فهم يقولون مثلاً:

---

(١) جاء في تراث الكندي الفيلسوف "رسالة الايسية والليسيّة" انظر مؤلفات الكندي لمكارثي.

(٢) لسان العرب، "أيس وليس".

(٣) تاج العروس، "أيس وليس".

(٤) قد يصرفنا هذا إلى الذهاب بعيداً عن مادتنا في المختصرات ولكني أشير إلى أن "لا" للنفي قد ركبت في كلم فجاء منه معنى آخر.

روى محمد بن زيد عن سليمان بن محمد عن سويد بن مالك عن ...

وفي هذا نجد الأداة "عن" تتكرر كثيراً فقالوا: العنعنة.

ونعود إلى الرموز وهو وضع حرف من الحروف للدلالة على أمر أو مسألة أو فائدة، ومن ذلك ما نجده في الكتب القديمة المشتملة على أصول من النصوص، ثم يعقب ذلك شروح لها، فقد أثبتوا: "ص" رمزاً للأصل، ثم أعقبوه بـ"ش" رمزاً للشرح.

ثم نجدهم يثبتون نصاً لأحد العلماء حتى إذا انتهوا منه اثبتوا "ا هـ" إشارة إلى الانتهاء.

ونجد في مصطلح مجد الدين الفيروز أبادي صاحب "القاموس" مادة ممتعة فقد استعمل الحرف (ع) للدلالة على الموضع، والحرف (د) للدلالة على البلد، والحرف (ة) أي تاء معقودة للدلالة على القرية، والحرف "ج" للدلالة على الجمع، والحرفين (ج م) ليغنيا عن قوله: "والجمع معروف".

ومثل هذا ما نختم به مواد عدة فنذكر شيئاً منها ثم نذيل ما ذكرنا بالأحرف (إلخ) نريد بها "إلى آخره".

وقد تجد الرمز في حديث الناس اليومي، وفي لغتهم الدراجة، فأنت تسمع من يقول: (س) من الناس يقول كذا وكذا. وليس من شك أن هذا تحدّر إلى اللغة الدراجة لدى المتعلمين من لغة "الرياضيات" و"س" في الرياضيات مجهول[١].

وفي العربية القديمة أن المجهول الذي لا يعرف هو: هيّان بن بيّان، أو هَيْ بن بَيْ[٢].

---

(١) وفي علم الجبر: الجيب والجيب تمام، والظل والظل تمام وغيرها، ولكننا استعملنا لها رموزاً فقلنا "جا وجتا" و"ظا وظتا" والاهتداء إلى الرمز كان جرياً على استعمال الغربيين الذين تحولوا من الاسم إلى الرمز حين أخذوا هذه المواد من العرب، وأصل الجيب والجيب تمام مما أخذه العرب من الهنود، وهذا ما أفادنيه الأستاذ الدكتور أحمد سعيدان والأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير.

(٢) انظر: لسان العرب.

وكان أول تجربة في اتخاذ الحروف رمزاً ما ورد في لغة التنزيل في فواتح السور نحو قوله تعالى:

الم: وهي أول سورة البقرة، وأول آل عمران، وأول سورة العنكبوت، وأول سورة الروم، وأول سورة لقمان، وأول سورة السجدة.

المص: وهي أول سورة الأعراف.

الر: وهي أول سورة يونس، وأول سورة هود، وأول سورة يوسف، وأول سورة إبراهيم، وأول سورة الحجر.

المر: وهي أول سورة الرعد.

كهيعص: وهي أول سورة مريم.

طه: وهي أول سورة طه.

طسم: وهي أول سورة الشعراء وأول سورة القصص.

طس: وهما أول سورة النمل.

يس: وهما أول سورة يس.

ص: وهو أول سورة ص.

حم: وهما أول سورة غافر، وأول سورة فُصلت، وأول سورة الشورى، وأول سورة الزخرف، وأول سورة الدخان، وأول سورة الجاثية، وأول سورة الأحقاف.

عسق: وهي الآية الثانية من سورة الشورى.

ق: وهو أول سورة ق.

ن: وهو أول سورة القلم.

أقول: وقيل في دلالة هذه الحروف أقوال عدة، واسترجح أهل العلم الرأي القائل: إنها رموز لمعاني القرآن أي إن لغة التنزيل كانت من هذه الحروف وما رمت إليه في دلالاتها العليّة.

وتعلق المسلمون بلغة التنزيل وعكفوا عليها دارسين ومستفيدين يرجون في خدمتها لقاء الله، وكان من ذلك أن اتخذوا بعض هذه الحروف أسماء لهم نحو طه ويس[١]، ولم أقف على هذا في درس الأعلام إلا في أعلام الرجال المتأخرين ابتداء من القرن الحادي عشر.

وقد تعلق المسلمون من غير العرب بالعربية لأنها لغة القرآن فكان السين والشين والنون من أسمائهم فقد ورد في أسماء المحدثين محمد بن عبدالله بن سين. وقد عرفت أفغانياً كان اسم أبيه "شيناً" وهو محمد بن شين.

وقد ورد ذو النون لقب يونس، ثم تحول إلى علم طوال العصور، وما زال معروفاً. ومن الطرائف أني تسلمت رسالة من رجل باكستاني دُعي "نون والقلم".

"والنون" في العربية الحوت، وهو كذلك في العبرانية/ والبابلية القديمة. ومن فوائد العربية أن "النون" ينصرف إلى الدواة أيضاً.

والقاف في العربية جبل أسطوري من زمرد يحيط بالأرض.

والجيم: الإبل المغتلمة. وقالوا أيضاً "الديباج" وإلى هذا ذهب أبو عمرو الشيباني حين سمّى كتابه الجيم.

---

(١) وجاء من فرائد العربية أن "يس" تفيد: يا إنسان. أقول: لعل هذا من "ايس" الذي يفيد الإنسان، وقد قالوا إيسان لغة في إنسان.

وقد عرف العرب الرمز واستعملوه في المجالات الفنية، وربّما ظن المعاصرون أن استعمال الرموز مما جاءت به العصور الحديثة، ولكننا نقرأ في كتاب الوزراء للصابي[١] فنجد الأحرف الرموز التي قطعت من كلمات لتشير إلى فائدة خاصة. ولقد ورد النص في معرض الكلام على "البرجاص"، وهو غرض يرمى في الهواء على رأس رمح أو نحوه، وكلمة "البرجاص" معربة عن أصلها الفارسي "برجاس" ومعناها هدف السهم كما ذكر أدي شير في "كتاب الألفاظ الفارسية المعربة"[٢] وفي هذا ذكر الصابي: "...

فإن كان يرمي (أي المتسابق الرامي) رمياً جيداً، وهو متمكن من نفسه، ومستقر في سرجه، ومصيب في رمية، عُلِّم على اسمه "ج" وهي علامة "الجيد" ومن كان دون ذلك عُلم على اسمه "ط" وهي علامة "المتوسط" ومن كان متخلفاً لا يحسن أن يركب فرسه، أو يرمي هدفه عُلم على اسمه "د" وهي علامة "الدون"[٣].

أقول: وهذا النص يظهر تقدم إدارة المرافق في نظم الدولة وقوانينها. قد يقال: ليس هذا شيئاً كبيراً، غير أني أقول: إن هذا يعني أن مجتمع الدولة العباسية في القرنين الرابع والخامس قد تطوّر وأدى به التطور إلى الوصول إلى الاختصار والإيجاز لأن الأمور حين تعقدت فكروا في التيسير فاهتدوا إلى استعمال الرموز بالأحرف. إن هذا غير بعيد عمّا يزاول في عصرنا في أساليب التربية الحديثة في مادة "الامتحانات".

---

(١) هو هلال بن المحسّن بن إبراهيم بن هلال الصابي الحراني، أبو الحسين، وقيل: أبو الحسن. مؤرخ بغدادي وهو من الأدباء الكتاب أسلم في آخر عمره واشتهر أديباً وهو على المجوسية ولي ديوان الإنشاء، وتوفي سنة ٤٤٨هـ. انظر تاريخ بغداد ٧٦/١٤، والمنتظم ١٧٦/٨.

(٢) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدّي شير.

(٣) كتاب الوزراء للصابي ص١٧– ١٨.

ولنعد إلى نص الصابي لنتابع هذه التجربة الفنية فنقرأ:

"... ثم يحمل بعد العرض والامتحانات إلى كتّاب الجيش ليتأملوا حليته.

ويقابلوا ما عندهم من صفته لئلا يكون بديلاً أو دخيلاً، فإذا تكامل عرض أصحاب القائد سليمان ليدفعها من وقتها إلى الكاتب، ويميز ما فيها من أرباب العلامات، ويُفرد لكل صنف منهم جريدة، وإذا عمل الكاتب من ذاك ما يعمله، قابل عليه بنفسه لئلا يتم على عبيد الله مغالطة فيه، ثم أخذ الجرائد المبيّضات المجرّدات وسلّم إلى عبيد الله ذات العلامات، وكل هذا من غير أن يعلم القائد وأصحابه بما يجري منه، ثم يخرج كل جريدة إلى مجلس قد أفرد لذلك الصنف، وجعل شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوماً، وسماهم عسكر الخاصة.

أقول: هذا مصير الفائزين برتبة "ج" أي "جيد" وقد رأينا كيف سلك بهم من الامتحان إلى المقابلة بين العلامات، وما كان لكل منهم في (جريدته) والمراد بها ما يسمى في عصرنا "الملف أو الملفة المشتملة على الوثائق اللازمة. ثم ينتهي الأمر بالتزام الناجحين في مرافق الجند.

ولنعد إلى كلام الصابي لنرى ما يكون من أمر الناجحين برتبة "ط" أي "المتوسطين" فنجده يقول:

... وضم المتوسطين إلى بدر (وهو أحد رجال الخليفة العباسي المعتضد ليكونا في شحنة طريق خراسان والأنبار ودعاهم عسكر الخدمة، وجعل أيام شهرهم مائة وعشرين يوماً وأمر عبيد الله بن سليمان بأن يرسم الطبقة "الدون" بالخروج إلى أعمال الخراج

للاستحثاث على حمل الأموال بعد أن يسقط منهم "الراضة" و"الاثبات" المشاكلين للرعية، وأن يسبّب أموالهم على النواحي في دفعتين من السنة[١].

أقول: و"الراضة" و"الأثبات" من أصناف العاملين الإداريين، وأما "الشحنة" فقد نستطيع أن تقربه إلى ما هو أمين العاصمة في عصرنا. وقد عرف مصطلح الشحنكية في العصور المتأخرة، وهي وظيفة الشحنة.

وهذا النص يعطينا صورة عما يمكن أن ندعوه تجربة تربوية علمية قديمة جرت في آخر القرن الثالث الهجري.

خاتمة:

هذه نبذة يسيرة تيسرت لدي فيما يتصل بالمختصرات والرموز.

---

(١) المصدر السابق.